



حوارٌ مع صديق عن ألوهية يسوع المسيح

(١)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

الحوار الأول

عزت صديقٌ مكافح، هاجر الى بريطانيا ثم أمريكا في السبعينات من القرن الماضي، وعمل في مجالات عدة في الحياة، واستقر أخيراً في عملٍ يفضُّله. انتقل بين كنائس عديدة، وما أكثر الكنائس في أمريكا، وما أكثر المذاهب أيضاً، ولكنه استقر أخيراً في إحدى الكنائس الأرثوذكسية.. الأخ عزت درس الهندسة في مصر، ونال بعض المعرفة المسيحية قبل أن يهاجر، ولكنه يصارع مع أسئلة هامة لم يسمع عليها إجابات مقنعة. تقابلنا ودار الحوار الذي سجَّله هو، ثم أعطاني نسخة من التسجيل.

عزت: أريد أن أعرف لماذا تؤمن أنت بالوهية يسوع المسيح؟ لا أريد أن أسمع آيات من الكتاب المقدس لأنني أعرفها كلها.

جورج: هل أنت تريد أن تسمع إجابة عقلية فلسفية محضة؟

عزت: نعم.

جورج: أنت سألتني سؤالاً شخصياً، والإجابة هنا ليست فلسفية وعقلية محضة، بل هي أيضاً شخصية.

عزت: ماذا تعني بكلمة شخصية؟

جورج: الإيمان هو التزام، وهو قبولُ سرِّ يقبله العقل، ويجد فيه الإنسان سلاماً نفسياً وسعادةً وفرحاً.

عزت: أنا لم أجد هذا السلام ولا الفرح. فما هو السبب؟

جورج: لا أدري، ولكن الذي أعرفه شخصياً هو أن يسوع أعلن لنا أعظم ما يصل إليه العقل، وهو المحبة. وحسب معرفتي، المحبة هي أعظم ما يمكن أن يفكر فيه الإنسان ويعتقده.

عزت: السبب في محورية المحبة؟

جورج: لا يوجد سبب. دائماً توجد حقيقة ثابتة، وهي أن كل ما في الكون يتحرك بمحبة. فهي سرُّ بقاء الإنسان في الأسرة، وسرُّ قبول المرأة بذرة الحياة ٩ أشهر، وسرُّ كفاح الأب والأم في تربية الأولاد، بل هي سرُّ بقاء الوطن حراً؛ لأنه بدون المحبة تنهار كل العلاقات الإنسانية. وعندما جاء يسوع وأعاد إلى المحبة مكانتها ومركزها الحقيقي، أدركتُ أن يسوع ليس مجرد إنسان لأنه علّم بالمحبة لكل الذين رفضوه، وأعطى علامة التلمذة له بأن نحب كما أحبَّ هو.

عزت: أنت تعود من الباب الخلفي للأسفار. أريد العقل لا النقل.

جورج: العقل يقول إن لدينا رسالة شخصٍ عاش للمحبة ومات للمحبة، وأن هذه الرسالة سَطَّرت في حياة أشخاص مثل أنطونيوس الكبير، وهو مثال لمن شاء أن يكون تلميذاً ليسوع بعد صلب يسوع وقيامته بحوالي ٤٠٠ سنة. التاريخ الذي لم يكن سوى شهادة لشخص يسوع، وهو هنا ليس أسفار العهد الجديد، بل كيف تجسّد شخص يسوع في حياة أشخاص مثل الأنبا إبرام أسقف الفيوم، والبابا كيرلس السادس، وأبونا متى المسكين، وأنت وأنا؛ لأننا جميعاً أصحابات من اللحم والدم تكتب تاريخ يسوع. هل انتهت إلى أن شهداء المنيا أو سمالوط قد أعادوا لنا صفحات من تاريخ الكنيسة، ظهرت بوضوح، ليس بالحبر والورق، بل بالدم؟ لقد طبع يسوع حياته ليس على ورق، بل على حياة أشخاص عشنا مع بعضٍ منهم.

عزت: جيد. إذن، ردُّك هو العودة الى التاريخ؟ ولكن التاريخ قابل لأكثر من تفسير.

جورج: هذا صحيح. ولكن تبقى حقيقة بارزة، وهي أن كل الذين تبعوا سلوك ووصايا المسيح يسوع كانت حياتهم مختلفة، فلم يكن أيُّ منهم نسخةً مقلدَةً ليسوع، بل حَمَلٌ كلُّ منهم قبساً من نور يسوع. ولذلك، نحن نجمع كل هؤلاء ليكون لدينا صورة واضحة، لا صورةً أحاديةً. هكذا نجمع صورة أنطونيوس الذي باع كل ما لديه لكي يكون تلميذاً، وصورة إبرام أسقف الفيوم الذي كان يعطي الفقراء كل ما لديه، لدرجة أنه عندما مات، لم يكن في المطرانية مالا لشراء الكفن لدفنه. أو أرسانيوس الذي كان يسهر الليل كله في الصلاة مثل يسوع.

عزت: حاسب، أنت كده بتتكلم عن أشخاص غير يسوع.

جورج: هذا صحيح، ولكن لا يمكن فهم أيّاً من هؤلاء بدون يسوع. لديك فصول من اللحم والدم، أي البشر هي إشعاع يسوع في تاريخ البشر.

عزت: هذا اعتبره نقلاً. أريد العقل.

جورج: جيد. هل فحص المحبة عقل، أم نقل؟

عزت: يمكن أن تكون عقلاً، ويمكن أن تكون نقلاً، والعبرة في الذي يقدم أو يطرح الموضوع.

جورج: هل لدينا مثال عن المحبة أعظم من مثال يسوع؟

عزت: لا أعرف، وأنا أقول الصدق.

جورج: حسناً. هل يوجد ما هو أعظم من المحبة في حياة أي إنسان، بل في حياة أي شعب؟

عزت: لا أظن. ربما المحبة، لا سيما محبة الوطن والأسرة والأب والأم. هذه العلاقات تتفكك بدون المحبة. لكن ما علاقة هذا بيسوع المسيح؟

جورج: وضَعَ يسوع محبة الله ومحبة القريب: حِب الرب إلهك، وحب قريبك كنفسك، أهم ما في الحياة. ثم طَبَّق يسوع هذا على نفسه. كانت محبته للآب بلا حدود، وكانت محبته للتلاميذ بلا حدود، فقال لهم: "لا أعود أسمىكم بعد عبيداً بل أعباء". وقد تَعَيَّنَ رسولٌ من رسل يسوع بالمحبة في (١ كو ص ١٣)، وجعل منها أنشودة الحياة الإنسانية، بل الإلهية الحقّة.

عزت: حسناً. أنت تقدم العقل، وتسندته بالنقل.

جورج: ربما. لأن المسيحية ديانة وتاريخ. وتاريخ المسيحية هو تاريخ الشهادة ليسوع، وهي مدوّنةٌ في الأناجيل والرسائل وأدبيات القرون الأولى. فهل أنت تعتبر أن تأكيد العقل لدور المحبة بما هو في التاريخ مرفوضٌ لأنه من النقل؟ ما هو النقل الذي تقبله؟

عزت: أريد سبباً واحداً واضحاً قاطعاً يجعلني أؤمن أن يسوع ربُّ.

جورج: الأسباب كثيرة: أولها التجسد، وثانيها الصلب، وثالثها القيامة، ورابعها الصعود، وآخرها عطية الروح القدس.

عزت: هذا غير مقنع.

جورج: يا أخي، إذا سألتك: هل أنت مصري؟ وهل لديك برهان على ذلك، فإن جوابك هو من واقع حياتك. الاعتراف بيسوع رب هو من واقع حياة يسوع، ما قدّمه وسبق وأعلنه. هو سؤالٌ عن شخص، ومن واقع الحياة الشخصية يجب أن يأتي الجواب.

عزت: أنت صعبتَ الموضوع؛ لأن التجسد هو من النقل، وأيضاً الباقي كله من النقل مثل الصلب والقيامة.

جورج: أنا لا أعرف ما هو سر العداة للنقل. هل تقصد التاريخ؟ وهل التاريخ مرفوض عندك؟

عزت: ربما. أنا لا أستطيع أن أقبل التاريخ؛ لأن الذين كتبوا التاريخ كانوا مسيحيين مثلك وبالتالي ما كتبوه يخلو من الموضوعية.

جورج: من أين جئت بهذه المعلومة. لقد كتب المؤرخون الرومان مثل تاسيتوس، ومن قبله بليني الصغير، عن يسوع، وهم لم يكونوا مسيحيين.

عزت: آسف. لم أسمع بهؤلاء. ولكن هؤلاء شهدوا بلا شك بأنه إنسان فقط.

جورج: بليني الصغير ذكر في رسالته إلى تراجان أن أحد جواسيس روما استطاع أن يحضر "اجتماع كنسي"، وقال إن المسيحيين رتلوا ترنيمة للمسيح كإله.

عزت: أنا لم أقرأ هذه الشهادة.

جورج: ولكن ما هي سر العداوة للتاريخ؟ لا يستطيع أحد أن يثبت أنك مصري إلا بالعودة إلى شهادة ميلادك، والأسرة أي الأب والأم، وإلى الذين عرفوك وأنت صغير وعاشوا معك. هكذا قدّم متى شهادة ميلاد يسوع بالشكل الذي عُرفت به شهادات الميلاد في ذلك الزمان، فكتب "يسوع ابن داوود ابن ابراهيم .."، ثم ذكر ولادة يسوع. هذه أمور شخصية يتعدّر إنكارها أو البحث عن بديل لها.

أعود فأقول لك، إننا أصدقاء، ولذلك نتحاور. ما هو دليل الصداقة التي بيننا؟ هو العلاقة نفسها، وهي الحوار، ثم معرفة كل منا بالآخر، فإذا دُونَ ذلك، فما هو سبب انكار الصداقة أو إنكار التدوين؟ أرجو أن تقدم لي سبباً معقولاً من العقل.

عزت: ليس لديّ أسباب، ولكن ما هي قيمة الأسباب التي ذكرتها التي تبدأ بالتحسد؟

جورج: إذا اكتفينا بالتحسد الآن على أن نعاود الحوار حول الأسباب الأخرى، لا سيما

الصَّلب والقيامة، وجدت أن تجسد ابن الله هو دليلٌ على الألوهة؛ لأن المخلوق من العدم لا يقدر أن يتَّحد بمخلوقٍ آخر مثله. نحن لنا وجود محدود، وحدود الوجود هو أن لنا طبيعة مخلوقة، فإذا جاء شخصٌ ما واتخذ لنفسه هذه الطبيعة وعاش بها قرابة ٣٣ سنة، وظلَّ إلهاً وإنساناً في نفس الوقت، فإن هذا الشخص لا بُد وأن يكون إلهاً؛ لأنه استطاع الاحتفاظ بأصله الإلهي، وما أضيف إلى أصله، أعني ظلَّ إلهاً وظلَّ إنساناً.

عزت: جيد .. على أي أساس وصلت أنت إلى هذه القناعة؟

جورج: على أساس حياة وأقوال وتصرفات يسوع. فهو يُظهر الألوهة في قوله: "انا هو الطريق والحق والحياة". ويُظهر الإنسانية عندما يقول للمرأة السامرية أعطني لأشرب. هو يقيم الموتى، ولدنا أسماء لمن أقامهم يسوع، مثل لعازر من بيت عنيا. وشفى المرضى، ولدنا مريضة معروفة لبطرس، وهي حماته. ولكن التغيير الواضح في حياة تلاميذه مثل متى جامع الضرائب، وبطرس صياد السمك، هذا التغيير يفرض عليّ أن أرى بوضوح ما الذي حدث لهؤلاء اليهود، وكيف تحولوا لبشارة جديدة ليست يهودية، أي تركوا ديانتهم واعتنقوا مبادئ وتعاليم يسوع. شيءٌ جديد حوَّلهم عن طريق الآباء والأجداد، ما هو؟ ويجب أن نلاحظ أن يسوع لم يقدم لهم وعوداً بحياة مريحة وسهلة.

هل عشت في أيام الرئيس عبد الناصر؟ هل تذكر كيف تأثرنا به، وكيف ضاع التأثير بعد وفاته، وظلَّ مجرد ذكرى وطنية؟ نحن نتأثر بشخصيات نعرفها، بل أحياناً نقلدها. ولكن يسوع لم نتأثر به كما تأثرنا بأي زعامة أو أي إنسان مشهور. يسوع يتغلغل في ثنايا القلب والوجود. إنه ليس مثل أي شخصية عامة مؤثرة.

عزت: ربما هذا عائد إلى الصلاة ودعاء الاسم.

جورج: ربما. ولكن دعاء اسم أي شخص مهما كان، لا يجلب السلام القلبي أو الفرح، ولا يطرد الشياطين ولا يفرّق الخيالات والأفكار الشريرة. ولأن يسوع حيّ وقام من الموت، صارت قيامته في قوة اسمه. هو خلودي وقيامتي حياة أبدية، ولذلك حياته الغالبة قد دخلت إلى كياني كله.

عزت: أنت تحبه بهذا القدر؟ ربما يجب أن نتابع الحوار مرة أخرى في القريب العاجل.

جورج: إن شاء الرب.

د. جورج حبيب بباوي